الصباح الإسلامية
09
العدد 2367 - السنة الثامنة
الإثنين 8 ربيع الآخر 1437 - الموافق 18 يناير 2016
Monday 18 January 2016 - No.2367 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

أصبح ظاهرة بين المسلمين وهو أساس لكل بلاء

ضعف الإيمان .. وعلاجه

إن ظاهرة ضعف الإيمان مما عم وانتشر في المسلمين؛ وهناك من الناس من يشتكي من قسوة قلبه، وتتردد عباراتهم: (أحس بقسوة في قلبي)، (أقع في المعصية بسهولة) وكثيرون آثار المرض عليهم بادية.

وهذا المرض أساس كل مصيبة وسبب كل نقص وبلية. وموضوع القلوب موضوع حساس ومهم، وقد سمي القلب قلبًا لسرعة تقلبه، قال عليه الصلاة والسلام: (إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا لبطن)[1]. وهو شديد التقلب كما وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (القلب ابن آدم أسرع تقلبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا)[2].

وحيث (أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه لن ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم) وأن الويل ﴿ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 22] وأن الوعد بالجنة ﴿ لِمَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: 33] كان لا بد للمؤمن أن يتحسس قلبه، ويعرف مكمن الداء وسبب المرض، ويشرع في العلاج قبل أن يطغى عليه الران فيهلك؛ والأمر عظيم والشان خطير؛ فإن الله قد حذرنا من القلب القاسي والمقفل والمريض والأعمى والأغلف والمنكوس والمطبوع والمختوم عليه.

وفيما يلي محاولة للتعرف على مظاهر مرض ضعف الإيمان وأسبابه وعلاجه:

أولا: مظاهر ضعف الإيمان:

إن لمرض ضعف الإيمان أعراضا ومظاهر متعددة، منها:

- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات:

من العصاة من يرتكب معصية معينة يصر عليها، ومنهم من يرتكب أنواعًا شتى من المعاصي، وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحولها إلى عادة مألوفة، ثم يزول قبحها في القلب تدريجيًا حتى يقع العاصي في المجاهرة بها ويدخل في حديث: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين... إلخ)[3].

- ومنها: الشعور بقسوة القلب وخشونته:

حتى يحس الإنسان أن قلبه قد انقلب حجرًا صلدًا لا يترشح منه شيء، ولا يتاثر بشيء، والله جل وعلا يقول: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: 74].

وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات، وربما حمل الجنازة بنفسه، ووراها بالتراب، لكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار.

ومنها: عدم إتقان العبادات:

ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة، وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار.

- ومن مظاهر ضعف الإيمان:

التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله عز وجل المنافقين بقوله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ [النساء: 142] ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة؛ وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر.

ضيق الصدر، وتغير المزاج، وانحباس الطبع حتى كأن على الإنسان ثقلا كبيرًا ينوء به فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء.

- ومن المظاهر أيضا:

عدم التأثر بآيات القرآن لا بوعده ولا بوعيده، ولا بأمره ولا نهيه، ولا في وصفه للقيامة، فضعيف الإيمان يمل من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه.

- ومنها: الغفلة عن الله عز وجل عن ذكره ودعائه سبحانه وتعالى فيثقل الذكر على الذاكر، وإذا رفع يده للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي؛ وقد وصف الله المنافقين بقوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء: 142].

- ومن مظاهره: الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة؛ فتراه مرتعد الفرائص، مختل التوازن، شارد الذهن، شاخص البصر، يحار في أمره عندما يصاب بعلمة أو بلية، فتنغلق في عينيه المخارج، وتركبه الهموم؛ فلا يستطيع مواجهة الواقع بجنان ثابت وقلب قوي، وهذا كله بسبب ضعف إيمانه.

ومنها: الشح والبخل: فلا شك أن ضعف الإيمان يولد الشح؛ قال: (لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا)[4].

ومن مظاهر ضعف الإيمان: التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها، فيتعلق القلب بالدنيا إلى درجة أن يحس بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن، ويعتبر نفسه سيئ الحظ، ويحس بألم أكثر إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعض ما فاته هو من حظوظ الدنيا

- عدم الاهتمام بقضايا المسلمين، ولا التفاعل معها لا بدعاء ولا صدقة ولا إعانة؛ فهو بارد الإحساس تجاه ما يصيب إخوانه في بقاع العالم من تسلط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث، فيكتفي بسلامة نفسه؛ وهذا نتيجة ضعف الإيمان.

ثانيًا: أسباب ضعف الإيمان:

- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة؛ وهذا مدعاة لضعف الإيمان في النفس، يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: 16].

- ومن الأسباب: الابتعاد عن طلب العلم الشرعي والاتصال بكتب السلف والكتب الإيمانية، التي تحيي القلب؛ فهناك أنواع من الكتب يحس القارئ بأنها تستثير في قلبه الإيمان، وتحرك الدوافع الإيمانية الكامنة في نفسه؛ وعلى رأس هذه الكتب: كتاب الله تعالى وكتب الحديث، ثم كتب العلماء المجيدين في الرقائق والوعظ الذين يحسنون عرض العقيدة بطريقة تحيي القلب، مثل: كتب العلامة ابن القيم، وابن رجب، وغيرهما.

- ومنها: وجود الإنسان في وسط يعج بالمعاصي؛ فهذا يتباهى بمعصية ارتكبها، وآخر يترنم بألحان أغنية وكلماتها، وثالث يدخن، ورابع يبسط مجلة ماجنة، وخامس لسانه منطلق باللعن والسباب والشتائم... وهكذا، أما القيل والقال والغيبة والنميمة وأخبار المباريات فمما لا يحصى كثر

- طول الأمل: قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: 3] وقال علي رضي الله عنه: (إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل. فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة) [5]وجاء في الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا). وقيل: (من قصر أمله قصر همه وتنور قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة)[6].

ومن أسباب ضعف الإيمان وقسوة القلب: الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة، وكثرة الضحك؛ فإن الوقت الذي لا يملأ بطاعة الله تعالى ينتج قلبًا صلدًا لا تنفع فيه زواجر القرآن ولا مواعظ الإيمان.

ثالثا: علاج ضعف الإيمان:

روى الحاكم في مستدركه والطبراني في مجمعه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) [7]والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فاظلم؛ إذ تجلت عنه فاضاء)[8].

وقيل الشروع في الكلام عن العلاج يحسن أن نذكر ملاحظة وهي: أن كثيرًا من الذين يحسون بقسوة في قلوبهم يبحثون عن علاجات خارجية يريدون الاعتماد فيها على الآخرين مع أن بمقدورهم علاج أنفسهم بأنفسهم وهذا هو الأصل؛ لأن الإيمان علاقة بين العبد وربه

وفيما يلي ذكر عدد من الوسائل الشرعية التي يمكن للمرء المسلم أن يعالج بها ضعف إيمانه ويزيل قسوة قلبه بعد الاعتماد على الله عز وجل وتوطين النفس على المجاهدة:

1 - تدبر القرآن الكريم الذي انزله الله عز وجل تبيانا لكل شيء ونورًا يهدي به سبحانه من شاء من عباده، ولا شك أن فيه علاجًا عظيمًا ودواءً فعالا؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: 82] أما طريقة العلاج فهي: التفكر، والتدبر.

استشعار عظمة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطلق عن طريق العمل بما وعاه القلب؛ فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه: فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

لزوم حلق الذكر وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب: منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)[9].

ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة، وملء الوقت بها؛ وهذا من أعظم أسباب العلاج؛ وهو أمر عظيم والرد في تقوية الإيمان ظاهر كبير.

- تنويع العبادات: من رحمة الله وحكمته أن نوّع لنا العبادات: فمنها ما يكون بالبدن كالصلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزكاة، ومنها ما يكون بهما معًا كالحج، ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء، وهكذا فإن من يتتبع العبادات يجد تنويعًا عظيمًا في الأعداد، والأوقات، والهيئات، والصفات، والأحكام؛ ولعل من الحكمة في ذلك أن لا تمل النفس ويستمر التجدد.

- ومن علاج ضعف الإيمان: الخوف من سوء الخاتمة؛ لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة، ويجدد الإيمان في القلب. وأما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة: منها ضعف الإيمان، والانهماك في المعاصي، ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان: ذكر الله تعالى وهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو من روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 41].

-8 ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب: الولاء والبراء أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين؛ وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جدًا وتذوي معاني العقيدة فيه.

- وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر؛ لأن التواضع في الكلام والأفعال والمظهر دال على تواضع القلب لله، وقد قال: (البذاذة من الإيمان)[10] وقال أيضا: (من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها)[11]

- ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ 18].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)، وقال ابن القيم رحمه الله: (هلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها)، اللهم إنا نسالك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجدد الإيمان في قلوبنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجهم وسلم تسليمًا كثيرًا.

من القرآن الكريم

« فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

(فاذكروني أذكركم) قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وقال سعيد بن جبير اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء بيانه « فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون » (144 - الصافات .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة »

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي وأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية عن الحسن عن أنس قال إني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أناملي هذه العشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وإن مشيت إلي هرولت إليك وإن هرولت إلي سعيت إليك وإن سألتني أعطيتك وإن لم تسألني غضبت عليك » . [ص: 168]

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا إسماعيل بن عبد الله عن أبي الدرداء عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بسر قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى.

قوله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره

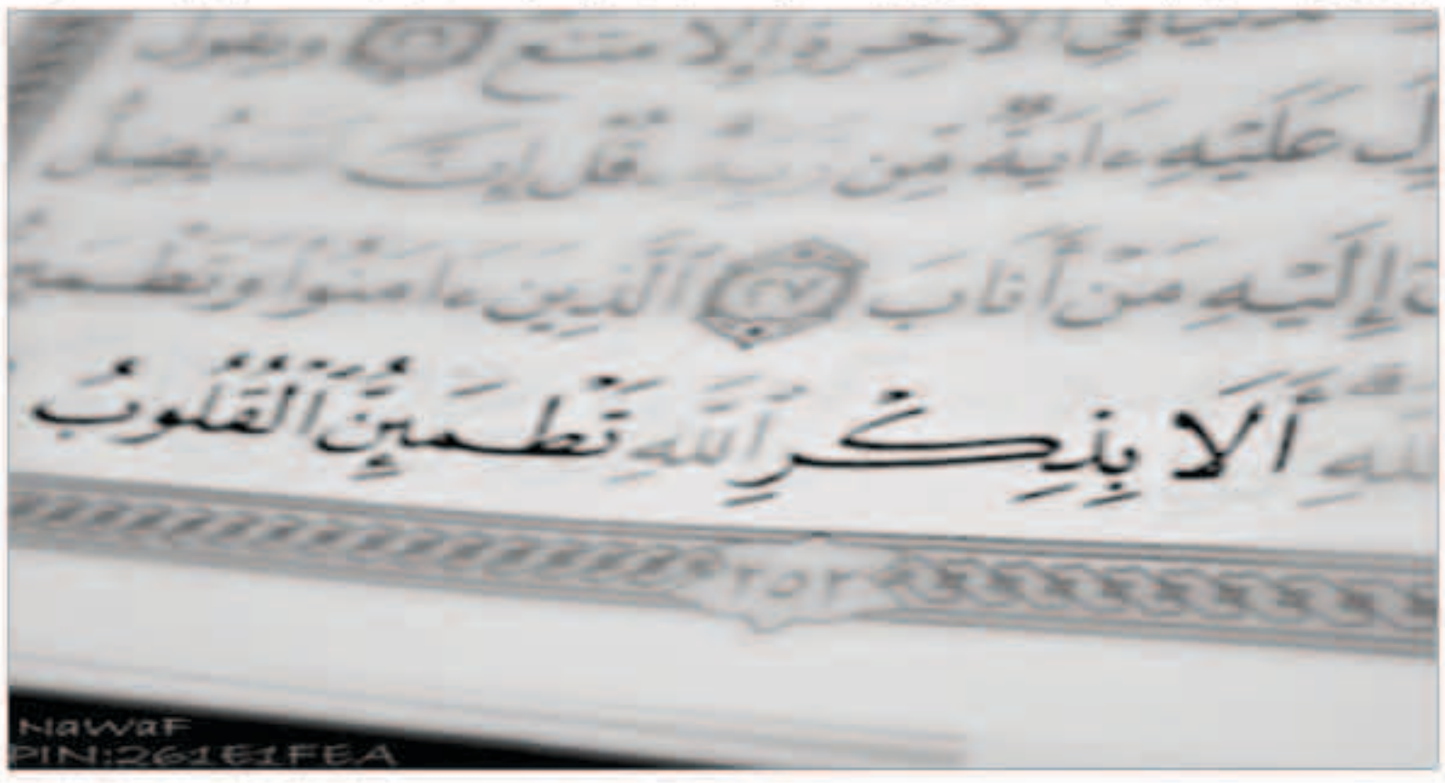

تأملات في سورة « الضحى »

أحيانًا الظروف الصعبة التي ينشأ فيها الطفل سبب نبوغه، وعبقريته وشالقه وحظوظه العريضة في الدنيا، وأحيانًا ينشأ الطفل في بيت غنى وكل شيء متوفر، فهذا الطفل فقد الدافع، ولينا اغلب النجباء لا ينجبون فالنجيب يصل إلى مستوى راق جدا، فأولاده في بحبوحة وأمورهم ميسرة، لا يحتاجون إلى شيء، فالظرف الصعب الذي ينشأ فيه الإنسان ربما كان سبب تفوقه في الدنيا.

الشيء الآخر أن النبي عليه الصلاة والسلام عظمه شديد القوى، لا يسمح لأب أو لأم أن يقولا: نحن الذان قمنا بتربيتك، فالنبي عليه الصلاة والسلام نشأ يتيم الأب والأم لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل، ولا أحد له فضل عليه إلا الله، ولا يستطيع أحد أن يعزو هذا التفوق وهذه النزيهة إليه، فأكثر الآباء الآن إذا نالق ابنه يقول لك: أنا الذي ربيته، وتعبت عليه، فالنبي عليه الصلاة والسلام أراده تعالى يتيمًا وكذلك ليواسي كل يتيم، وسيد الإيتام، ومع ذلك فالإنسان إذا افتقر إلى الله تعالى نالق، فإذا حققت له كل حاجاته في الدنيا يخبو.

ثم قال تعالى:

ووجدك ضالا فهدى

هذا الخصال الذي في حق النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا يعرف الطريف لهداية قومه ؟ فلم يكن يعرف كيف يدعو إلى الله ؟ فربنا عز وجل حينما أنزل عليه الوحي وتوضح أنه رسوله علمت معالم الدعوة إلى الله تعالى.

ثم قال تعالى:

ووجدك عائلا فأغنى كان إذا دخل بيته يقول: هل عندكم شيء ؟ يقولون: لا، فيقول عليه الصلاة والسلام: إني صائم؟ لي صديق دخل السجن خمسون يومًا ثم خرج، فقالت له زوجته: ليس هناك طعام ؟ فبكى وقال: هناك من يأكل من الحواضر ستة أشهر ! فإذا الإنسان وجد طعامًا فليشكر الله تعالى، الذين يتقيون في الحلويات بشر، أليس كذلك ؟ ما الذي حملهم على التنقيب بالحاويات ؟ الجوع والجوع كما يقول العامة: كافر ! قال تعالى:

الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف(4) كان عليه الصلاة والسلام تعظم عنده النعمة مهما قلت، فكأس صافي بارد نعمة كبيرة، ففي بعض المناطق هذا الماء يشترى، وليس بدرجة الموجود في الحنفية ! فكان عليه الصلاة والسلام يحافظ على النعمة، فمرة توضأ من قعب فضلت فيه فضلة فقال ردوه في النهر ينفع الله به قومًا آخرين، فلم يهدر هذا الكمية الصغيرة.

بالمقابل كما قال تعالى:

فأما اليتيم فلا تقهر

لا تقل: فلان لا أحد له، وتستفيد منه، وتضغط عليه، هناك ناس لئام ! إذا الزوجة لا أهل لها يستحقوها بالخدمة الشاقة، وإذا صانع يتيم ولا أب له يضغط عليه معلمه ضغطًا شديدًا، القلب القاسي بعيد عن الله تعالى، ولو صام وصلى وزعم أنه مسلم، وابعد قلب عن الله تعالى القلب القاسي، فأنت إن لم تعامل هذا الصبي وكأنه ابنك فأنت لست مؤمنًا، ثم قال تعالى:

فأما اليتيم فلا تقهر (9) وأما السائل فلا تنهر

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى.

قال تعالى:

وأما بنعمة ربك فحدث هناك من فهم الأبو فهمًا غير صحيح ؛ يجلس بمجلس ويقول: أخذنا كذا بألف ليرة وكذا وكذا.. هذا كلام مضحك وفيه تبجح، هذا كلام فيه كسر للفقير، سافرنا ودفعنا كذا، ونزلنا بالفندق الفلاني، وكلف الغداء كذا، والعرس كذا، ليس هذا هو المعنى، نعمة الله المشتركة الهواء والماء والشمس والقمر ! هذه النعم التي يشترك فيها الناس جميعًا، اذكر نعم الله عز وجل حتى يحب الناس الله، والحديث الشريف أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه... لا تحكي نعمك الخاصة وميزاتك فهذه تحدث حرق وإبعاد، وأفهم البشر في هذا النساء ! زوجي كذا، واشترى السيارة الفلانية وذهبنا للمحل الفلاني، كل هذا الحديث شيطاني وتفرقة، أما لو تحدثت عن الله تعالى فإنك تجمع القلوب.